الافكار العالمية ودورها في تطور الجغرافية

أ.د. رياض عبدالله احمد

جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم الجغرافية

للعام الدراسي 2025-2026

الدراسات العليا – ماجستير – فكر جغرافي

readabdalaa@tu.edu.iq

المقدمة

كانت مسيرة تطور الفكر الجغرافي طويلة وموضوعية ومتأنية، ولم تشهد انقطاعا بل كانت مستمرة عبر مراحل الزمن لجميع الحضارات. والفكر الجغرافي بصورته الحالية هو نتاج الحضارات الإنسانية قديمها وحديثها، من خلال العلماء والمجتهدين والرحالة الذين بذلوا قصارى جهدهم من أجل تطور هذا الفكر. وقد قطعت مسيرة الفكر الجغرافي الطويلة أشواطاً كبيرة من التقدم، سجل خلالها أعلام الجغرافية وروادها من الجغرافيين المجتهدين، إضافاتٍ وأفكارٍ وسعت وعمقت المعرفة الجغرافية في كل مرحلة من مراحل تطور الفكر الجغرافي كما أنهم أرسو قواعد للفكر الجغرافي [1] . إن الفكر الجغرافي الحديث الذي كانت نشأته في أوربا منذ منتصف القرن السابع عشرا لميلادي، لم يبدأ من حيث انتهى الفكر الجغرافي القديم الذي سجل فيه بطليموس أهم أثر في تراثه الفكري، وإنما انكب الاجتهاد الأوربي على الاجتهاد الجغرافي العربي الإسلامي فنهل منه المعرفة والأفكار، وانتفع بإضافاته على مدى سبعة قرون. فلا يستطيع أحد أن ينكر كتابات الإدريسي وإضافات المقدسي والرحالة ابن بطوطة وغيرهم [2]

وهنا تبدو مقدرة العرب الفائقة وبراعتهم في فن الأدب الجغرافي القصصي. ولقد اثار هذا الأدب اهتماماً بالغاً بسبب تنوعه وغنى مادته، فهو تارة علمي وتارة وصفي. وهو طور واقعي وأسطوري على السواء. تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة لذا فهو يقدم لنا مادة متعددة الجوانب لا يوجد لها مثيل في أدب إي شعب معاصر للعرب. وهو يقدم متعة ذهنية كبرى إذ نجد فيه نماذج أدبية فنية رائعة صبغت

---

[1] إبراهيم أحمد سعيد ، ممدوح شعبان دبس ، تطور الفكر الجغرافي ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق ، 2011م، ص7.

[2] ا لمصدر نفسه ، ص345.

بالسجع احيانا والمصنفات الموضوعة من أجل متعة القراء [3] . لقد وفر الاطلاع على تراث الفكر الجغرافي العربي المتراكم لقرون طويلة ،حصاداً ثرياً ونجاحاً علمياً للاجتهاد الجغرافي الأوربي الحديث، بعد انتقال مسيرة التفكير الجغرافي من ايدي الجغرافيين المسلمين العرب إلى الأيدي الأوربية في بداية عصر النهضة الأوربية [4] .

لقد أصبحت الجغرافية في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي تقف على عتبة جديدة في مراحل تطورها وهي" طور الجغرافية الكلاسيكيةGeograghy "Classical" كما يسمها هارتشونHartshorne.وكان هذا التطور بداية الجغرافية الحديثة بمفهومها العلمي المتطور الذي يعتمد على التحليل والتعليل والربط ما بين العوامل المسببة والمؤثرة في الظاهرة لا مجرد الوصف السطحي الفلسفي . وقد تطلب ذلك الإلمام بكثير من العلوم الأخرى التي ترتبط بها الجغرافية ارتباطاً وثيقاً ، مثل العلوم الرياضية والفلك والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والميترولوجيا وعلم الاجتماع والسياسة والاقتصاد وغيرها. وهذا لا نجده في إي علم أخر [5] . وتدين الجغرافية الحديثة للفكر الجغرافي الأوربي الحديث بالمكانة المتميزة التي تحتلها بين الفروع الرئيسة من المعرفة الإنسانية، بنقلها من ميدان الوصف إلى الاجتهاد الجغرافي العلمي ، من خلال صياغة القواعد العلمية للجغرافية الحديثة في الإطار العلمي الصحيح . ومع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أخذت الجغرافية صفة العلم الحديث بعد أن ظلت قرونا طويلة تضم أشتاتاً من المعارف والحقائق التي يغلب عليها الطابع الوصفي وتفتقد إلى الوحدة والتجانس، إذ شهدت الكتابات الجغرافية تطوراً من حيث الكم والنوع فقد طرحت أراء عديدة حول مواضيع جغرافية متنوعة تتعلق بماهية الجغرافية وهدفها ، ومفهوم الوحدة الطبيعية والحدود الطبيعية وغيرها من المواضيع . وفي الوقت نفسه أعطت نتائج الأبحاث العلمية والاستكشافات الجغرافية زخماً قوياً للفكر الجغرافي. وقد حصل هذا التقدم في الفكر الجغرافي بصورة رئيسية على أيدي الجغرافيين الألمان على وجه العموم، وأيدي العالمين الألمانيين الكسندر فون همبولت وكارل ريتر على وجه الخصوص، إلا أن البذور الأولى للجغرافية الحديثة وضعها الفيلسوف ايمانويل كانت Kant في القرن الثامن عشر عندما كتب مادة لمصنف في الجغرافية الطبيعية ، واعتبر الجغرافية الطبيعية أساسا لدراسة

---

[3] اغناطيوس يوليا نوفش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ،ط2،ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي ، تونس ،1987م ،ص865.

[4] صلاح الدين علي الشامي ، الجغرافية المعاصرة ،منشاة المعارف ، الإسكندرية 1987م،ص21.

[1] شاكر خصباك ، علي محمد المياح ، الفكر الجغرافي تطوره وطرق بحثة ، مطبعة بغداد ، بغداد ، 1982م،ص147.

الجوانب البشرية في الجغرافية، إن هذا التطور في الفكر الجغرافي مدين لكتاب تلك البلاد الذين كانوا رواد في هذا المجال.

لقد تبنى الاجتهاد الألماني الفكر الجغرافي الحديث، وأبدع واجتهد وجدد في صياغة قواعد علم الجغرافية على مدى أكثر من قرنين ونصف امسك خلالها بزمام المسيرة الفكرية الجغرافية وريادتيها في الاتجاه الصحيح، واسهم كذلك في انتشار الاهتمام بالجغرافية على مستوى العالم .ويتفق الباحثون على إن الأدب الجغرافي الألماني يمثل الانطلاقة العلمية الحديثة للجغرافية ، وأن رائدي هذه الانطلاقة هما همبولت وريتر. وهكذا أفلح الاجتهاد الجغرافي في إضافة حقائق علمية جديدة من خلال التفسير حينا ومن خلال إدراك العلاقة حينا آخر ، وما من شك إن التحول البناء، الذي أدخل الفكر الجغرافي الحديث وزج به في أطوار التغير والتطور ، قد بني أساسا على ثمرات الاجتهاد الفكري التجريبي والاجتهاد الفلسفي على مدى أكثر من قرنين سابقة للقرن العشرين، وهذا معناه إن الإضافات التي أسفر عنها الاجتهاد الجغرافي على مدى أكثر من ثلاثة قرون، أصبحت ميراثاً للفكر الجغرافي الحديث في القرن العشرين [6] .

ولما كانت المدة الحديثة من تأريخ الفكر الجغرافي ، والتي بدأت منذ منتصف القرن السابع عشر وإلى منتصف القرن التاسع عشراً الميلادي، هي الفترة التي شهدت تطورات وتغيرات تفوق في أهميتها كل ما شهده الفكر الجغرافي في مسيرة من التطورات والتغيرات منذ نشأته وإلى الفترة المعاصرة، نتيجة للكشوف الجغرافية الحديثة التي شهدها العالم وتطور العلوم الطبيعية وأثرها على الفكر الجغرافي الحديث، فان محور الدراسة هذه ستكون حول أهم رواد الفكر الجغرافي الحديث قبل الفترة الأكاديمية وأهم انجازاتهم العلمية التي كانت حجر الأساس للجغرافية الحديثة وتأثيرها على مسيرة الفكر الجغرافي، وأهم رواد الفكر الجغرافي الحديث الذين وضعوا أسس الجغرافية الحديثة ، وفي مقدمتهم الكسندر فون همبولت وكارل ريتر.

ومن الجدير بالذكر هنا ان زمن الفترة الاكاديمية هي التي تبدا في في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ، حينما استقلت الجغرافية كعلم مستقل عن العلوم الاخرى مثل التاريخ والجيولوجيا التي كانت

---

[1] صلاح الدين علي الشامي ، مصدر سابق ،ص334.

في السابق مرتبطة مع هذه العلوم، واصبحت تدرس في الجامعات الاوربية والامريكية لها صفة العلم الحديث ولها مناهجها وفلسفتها التي وضعها رواد الفكر الجغرافي الحديث .

بدأ تطور الجغرافية منذ ان ارسى كل من همبولت وريتر قواعد الجغرافية الحديثة واصولها, وارتقيا بها الى مستوى العلوم الحديثة التي تبحث عن القوانين وتستمد بياناتها من الطبيعة مباشرة, وسلكا في بحثهما (المنهج الاستقرائي) الذي يتفق والمناهج العلمية التي كانت سائدة آنذاك. ومن بعد هذين العالمين ظهر العديد من الشخصيات الجغرافية التي درست وتأثرت بهما, وكان لهذه الشخصيات الجغرافية الفضل الاكبر في طرح الكثير من الافكار والمفاهيم الجغرافية الحديثة. ان تقدم المانيا في بلورة الافكار الجغرافية ساعد على نشؤ اتجاهات واضحة قامت عليها مدارس فكرية تولت اثراء الفكر الجغرافي وتقدمه, وبدأ من المانيا انتشار الافكار الجغرافية الحديثة الى انحاء العالم , وكانت فرنسا البلد المؤهل بعد المانيا لقيام مدرسة جغرافية واضحة المعالم استمدت اصولها من نشاط بعض الجغرافيين الفرنسيين الذين عملوا بالمسائل الجغرافية, وكذلك لتأثر بعظهم بالجغرافيين الالمان مثل (اليزيه ركلس) الذي كان احد تلامذة ريتر. اما المدرسة الجغرافية البريطانية فقد بدأت بالظهور منذ مطلع القرن العشرين مستندة على المفاهيم والافكار الالمانية والفرنسية بصورة خاصة نظراً لتأثر مؤسسي الجغرافية الحديثة في بريطانيا بأفكار واراء (فردريك لابلاي وفيدال دي لابلاش) في فرنسا و(راتزل وهتنر) في المانيا. ومن اهم سمات المدرسة الجغرافية البريطانية انها احدثت ثورة في المناهج والاساليب المتبعة فقد ركزت على القضايا الاجتماعية والاقتصادية واتبعت المنهج التطبيقي, وعمقت التخصص حتى يتمكن الجغرافي من ان يصبح متخصصا بموضوع محدد ومشكلة معينة, بحيث يستطيع اداء خدمة لمجتمعه عن طريق الانتفاع بالعلم, بالتطبيق العملي له (وهي المدرسة التي تقود الفكر الجغرافي في الوقت الحاضر) بفعل جهود جغرافييها, فضلاً عن المدرسة الجغرافية الامريكية[7].

المدارس الجغرافية العالمية

تعد المدارس الجغرافية العالمية نتاج فكري لمجموعة التغيرات التي حدثت بعد القرن الثامن عشر إذا انها تمثل ترجمة حقيقية لما ألت اليه الجغرافية من تطورات ومن غزارة في المعلومات ان دراسة المدارس الفكرية تعطينا صورة واضحة عن طبيعة الأفكار التي سادت في المرحلة المعاصرة والتي أدت في النهاية الى تطور الجغرافية سواء كان هذا التطور من خلال المنهج المتبع اومن خلال طبيعة الدراسة الجغرافية فلو تناولنا المدارس الفكرية العالمية لوجدناها تتركز في القارة الاوربية متمثلةً بالآتي: –

([7]) محمد علي عمر الفرا, مصدر سابق, ص5-6.

1- **المدرسة الألمانية:** - تعد الأساس في تطور الجغرافية لما لها من أهمية في بروز علماء ادوا دوراً مهماً في ابراز مصطلح الجغرافية، لقد ركزت المدرسة الألمانية في دراستها الجغرافية على الاتي: -

أ- دراسة الجوانب الطبيعية وإبراز دور البيئة على السلوك الإنساني ويمكن ترجمة هذا الاتجاه من خلال كتب (ريتر وهامبولت) واللذان أسهما في بلورة ما يعرف بالجغرافية الطبيعية.

ب-برز هناك اتجاه اخر اهتم بالجغرافية البشرية متمثلةً بـ(راتزل) والذي حاول ادخال الجغرافية البشرية كجزء من الدراسات الجغرافية بعد ان سيطرة الجغرافية الطبيعية على عقول الالمان لأكثر من مائة سنة.

ت-تم استخدام الجغرافية كعنصر أساس في الجوانب السياسية كما فعل (كارل هاسهوفر) الذي ترجم الاعمال الجغرافية لصالح القوى السياسية في ذلك الوقت حيث انه اوجد ما يعرف (بالجيوبولوتيكا) وقد أسهمت في بلورة صراع سياسي لألمانيا خاصة بعد الحرب العالمية الأولى والثانية.

ث-برز توجه اخر بعد ن ابتعد الجزء من علماء الجغرافية عن السياسية لتشكل دراسات حول المستوطنات الحضرية متمثلة بدراسات (ولتر كرستالر) حول نظرية الأماكن المركزية والتي حاول فيها ان يربط بين الجوانب الاقتصادية والجوانب الحضرية.

ج- خرجت الجغرافية الألمانية بعد الحرب العالمية الثانية بتوجهات مختلفة غير التي كانت سائدة فيما قبل الحرب العالمية الثانية حيث انها انفتحت على كافة الاختصاصات مبتعدةً عن الجغرافية السياسية كونها قد أسهمت في تشكيل ازمة وكارثة عند الالمان متمثلةً بخسارتها للحرب العالمية الثانية.

2- **المدرسة الجغرافية الفرنسية:** - تعد هذه المدرسة تصحيح للمدرسة الجغرافية الألمانية التي حاولت اخراج الجغرافية البشرية من الجغرافية واقتصارها على الجغرافية الطبيعية فضلاً عن ذلك فأنم المدرسة الألمانية السابقة كانت تركز على (الحتمية) في حين نجد ان المدرسة الجغرافية الفرنسية قد ركزت على (الامكانية) وبرز العالم (فيدل دي لا بلاش) ليصحح ما وقعت به المدرسة الألمانية من خلال: -

أ- اعتبار الجغرافية البشرية جزء مكمل للجغرافية الطبيعية واعتبارها وحدة جغرافية متكاملة تخضع للتأثير المتبادل.

ب–لقد اوجد (فيدال دي لا بلاش) نوع من التوازن ما بين الأثر والمؤثر وما بين القوى الطبيعية والانسان كعاملين مؤثرين متبادلين ولم يعترف بتميز الواحدة عن الأخرى.

ت–حاولت الجغرافية الفرنسية إيجاد تعريف مشترك للجغرافية يتناغم مع ما طرحوه من أفكار حول العلاقة المتبادلة بين الظاهرة الطبيعية والبشرية.

3– **المدرسة الجغرافية الإنكليزية:** – تعد هذه المدرسة مثال واضح لتطور الجغرافية في حقبة القرن التاسع عشر والعشرين حيث ان غزارة المعلومات وطبيعة التعامل مع هذه المعلومة قد أسهمت في بلورة أفكارهم وطرح مفاهيم ونشر أعمالهم بطريقة علمية كذلك لا يمكن اغفال إثر المدرسة الألمانية والفرنسية على هذه المدرسة في ابداء اراءها ونجد ان المدرسة الإنكليزية قد ركزت على جانبين هما: – **الجانب الطبيعي** كما في دراسات العالم (هر بستون) الذي ركز على الدراسة الإقليمية والطبيعية، اما الجانب الاخر فهو **الجانب البشري** والذي استمد طروحاته من العالم (ما كندر) والذي اوجد (نظرية قلب العالم) مستعيناً بمعظم المعلومات الغزيرة التي حققتها الكشوف الجغرافية علماً ان المدرسة الإنكليزية كحال المدرسة الألمانية في بعض جزئياتها حيث انها قد سخرت بعض مجهودات الجغرافيين خدمةً للتطلعات الاستعمارية كحال نظرية قلب العالم والتي طبقتها بريطانيا كجانب أساس في سيطرتها على العالم.

ان ما طرح سابقاً حول المدارس الاوربية وعلى الجانب الاخر ظهرت مدرسة أخرى هي **(المدرسة الامريكية)** والتي تعد مدرسة ذات تأثير بسيط كونها تأثرت بالأساس بالمدرسة الجغرافية الألمانية والتركيز على الجوانب الطبيعية الا ان هذه المدرسة قد برعت في الدراسات الإقليمية في القرن العشرين وما كتابات (هارتشون) الا مثال لهذه الدراسات الإقليمية حيث ذكر ان هناك نوعين من الأقاليم هما: –

الإقليم الطبيعي وهو الذي تتشابه فيه الظاهرات واوجدوا نوع اخر من الأقاليم هو **الإقليم الوظيفي** كحال الإقليم التجاري او إقليم انتاج محصول معين ان المدرسة الامريكية قد اظهرت ايضاً تأثرها بالمدرسة الألمانية من خلال الدراسات الطبيعية وما نظرية (ديفز) الا نتاج واضح للدراسات الطبيعية حول نظرية التعرية. اما ابرز نتائج المدرسة الجغرافية الانكليزية

1– ان التطورات التي شهدتها اوربا في عصر النهضة قد قدمت دعما قويا لتطور الجغرافية فيها من خلال النهضة العلمية او تطور الكارتواغرافيا , وان هذا التقدم لم يشمل الجغرافيا وحدها وانما شمل علوما مختلفة .

2- قدمت الكشوف الجغرافية زخما كبيرا لتطور الجغرافية من خلال اكتشاف قارات ومناطق جديدة واتساع مساحة العالم الذي لم يكن معروفا قبل هذه الاكتشافات.

3- لم تظهر الجغرافية الى الواقع كعلم مستقل الا في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بفعل ثلاثة عوامل رئيسية هي الكشوف الجغرافية , وظهور الفلسفة لعلمية , وظهور نظرية التطور لدارون.

4- كان للجمعية الجغرافية البريطانية دورا هاماً في تشجيع تدريس الجغرافيا في بريطانيا عن طريق اعداد التقارير الهامة في هذا الجانب , او الدعم المادي والمعنوي.

5- ظهرت المدرسة الجغرافية البريطانية في بداية القرن العشرين. بجهود مجموعة من الرواد في مقدمتهم ماكندر وهربرتسون.

6- اثبتت الدراسة الفرض الاول, ان للمدرسة الجغرافية البريطانية دور كبير في تطور الجغرافيا في الجانب الطبيعي. من خلال ما انجز من دراسات من قبل رواد هذه المدرسة.

7- كان لماكندر دور كبير ومميز في ظهور المدرسة الجغرافية البريطانية على الساحة العالمية , وكان ظهوره علامة مضيئة في الفكر الجغرافي البريطاني.

8- اضاف رواد المدرسة الجغرافية البريطانية اضافة الى ماكندر العديد من الافكار التي ساهمت في تطور الفكر الجغرافي في الجانب الطبيعي.

9- تأثرت المدرسة الجغرافية البريطانية في بداية ظهورها بأفكار المدرستين الالمانية والفرنسية.

10- تسلمت المدرسة البريطانية في بداية القرن العشرين قيادة الفكر الجغرافي اضافة الى المدرسة الامريكية.

11- اقترن ظهور المدرسة الجغرافية البريطانية بتدريس الجغرافيا في المدارس البريطانية , وقد أُقِرت الجغرافيا في المدارس الابتدائية ومعاهد المعلمين في بداية القرن العشرين.

12- ظهر في المدرسة الجغرافية البريطانية بعد تأسيسها العديد من الاتجاهات منها الاتجاه نحو تدريس الجغرافية في المدارس البريطانية والاهتمام بالكشوف الجغرافية , والاتجاه نحو الدراسة الاقليمية وكذلك الاتجاه نحو الجغرافيا التطبيقية وحل مشاكل البلاد. والاتجاه نحو الجغرافيا السياسية. وهو ما يثبت الفرض الثاني من الدراسة.

13- ساهمت الجغرافيا في نهوض بريطانيا اقتصاديا في اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها من خلال مسح الاراضي الذي اقترحه ونفذه جغرافيو هذه المدرسة.